وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مجلة

الفلسفة

مجلة اكاديمية محكمة تصدر عن كلية الاداب في الجامعة المستنصرية

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL

الترقيم الدولي ISSN:1136-1992

المعرف الدولي DOI : 10.35284

الفلسفة

12/2021

العدد 24 2021

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي Doi
تحت رقم prefix :10.35284

العدد الرابع والعشرون

كانون الاول

٢٠٢١/١٢

رئيس التحرير

ا.د. رائد جبار كاظم

الهيأة العلمية الاستشارية

1.ا.د.يمنى طريف الخولي – كلية الآداب – جامعة القاهرة- مصر.

2.ا.د. عفيف حيدر عثمان - الجامعة اللبنانية – لبنان .

3-Professor:Juan Rivera Palomino- San Marcos – Peru

4.ا.د. مصطفى النشار – كلية الآداب – جامعة القاهرة – مصر.

5.ا.د. احمد الوشاح – كليات كليرمونت – كلية بيتزر- لوس انجلس – امريكا

6.د. احسان علي شريعتي –كلية الاديان – جامعة طهران – ايران

7.ا.د. افراح لطفي عبد الله – كلية الآداب – جامعة بغداد – العراق

8.ا.د.عامر عبد زيد الوائلي – كلية الآداب – جامعة الكوفة – العراق

9.ا.م.د. محمد حسين النجم - كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – العراق

البريد الالكتروني

art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq

مدير التحرير

أ.م.د.حيدر ناظم محمد

كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير

م.د أسماء جعفر فرج

كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د.منار صاحب

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م.أثير محمد مجيد

مسؤول الموقع الالكتروني

المهندسة

ريهام ماجد عبد الكريم

نصميم وطباعة
مكتب الاثير
للنشر والطباعة

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)

فهرست بدار الكتب والوثائق وايداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

المحتويات

كلمة رئيس التحرير

مفهوم الواحد قراءة في آراء الفارابي وابن رشد	يوسف بن عدي	١-٢٢
الأساليب التنظيمية الدعوية للفكر الإسماعيلي	أ.د.نظلة أحمد نائل الجبوري صفا مصطفى مهدي	٢٣-٤٢
أنسنة الوحي قراءة نقدية في موقف الخطاب الحداثوي للنص الديني	أ.د.رحيم محمد الساعدي م.م.حيدر عبد السادة جودة	٤٣-٦٠
مفهوم العقل عند الكندي والفارابي	م.د.منى فليح حسين	٦١-٨٠
المثالية الالمانية وتأويلاتها للمسيحية	أ.م.د. باقر ابراهيم الزيدي	٨١-١٠٠
فلسفة العقل عند نيكولاس مالبرانش	أ.م.د.سالي محسن لطيف	١٠١-١٢٠
الليبرالية السياسية عند براتراند رسل	أ.م.د.حيدر ناظم محمد حوراء حميد محسن	١٢١-١٢٩
القناع-قراءة في ضوء فلسفة نيتشه	م.د.هجران عبد الإله احمد	١٣١-١٣٠
دور الابطال في بناء الدول عند هيردوت	أ.م.د.محمد حسين النجم د.سحر علاوي عزوز	١٣١-١٤٦
حرية الإرادة عند توما الأكويني وجون دنس سكوت	أ.م.د.احمد عبد خضير م.م.اسماء جعفر	١٤٧-١٦٤

العدد
الرابع والعشرون
كانون الاول
٢٠٢١/١٢

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
art.phi_magazine@
uomustansiriyah.edu.iq

القناع ـــ قراءة في ضوء فلسفة نيتشه

م.د. هجران عبد الإله احمد[١]

ملخص:

وجد نيتشه نفسه في عصر اشبه بحفلة تنكرية، واغلب قيم عصره مجرد قيم زائفة مخادعة ومتنكرة، فما كان منه إلا أن يعّمد الى مطرقته ليدمر تلك الأقنعة ويحطمها، ليكشف عن الوجه الحقيقي المتخفي، حيث نزع قناع القداسة عن عالم الحقيقة ليغدو مجرد فكرة زائفة من اختلاق العقل البشري، ونزع قناع الأخلاقيات المسيحية، من أجل إعادة الفضائل إلى الإنسان، ولتعود القيم أشد التصاقاً بالأرض والحياة، وعلى الرغم من رفض نيتشه التخفي وراء الأقنعة إلا انه لم يخفي إعجابه بالقناع وبكل شيء عميق، فهو يرى أن النوع الإنساني كلما ارتفع وارتقى أزداد استخدامه للقناع. لذا كان القناع عنده بمثابة استراتيجية فلسفية ذات ارتباطات كثيرة، ولم يكن حضوراً عابراً يقتصر على النقد والتدمير، بل يصح القول ان كل شيء في فلسفة نيتشه هو (قناع)، فاذا ارتدى قديماً زعيم القبيلة، وكاهنها، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والترهيب، ولإخافة اعداءه، نجد نيتشه ايضاً يرتدي أقنعة متعددة للتمويه والتخفي من جهة، ولإظهار هوية جديدة من جهة اخرى ، فهوية (الانسان الاعلى – السوبرمان) هي قناع يختفي وراءه نيتشه بعد كل الحوادث المأساوية التي مرت في حياته، ليعيد رسم خارطة القيم من جديد، وفق ما يتناسب مع شخصية هذا البطل، وهوية هذا القناع، وهو أمر معتاد لدى كل الأبطال الخارقين الذين بدأوا حياة القناع، بعد تجربة قاسية، وحوادث مأساوية، مرت بهم، لذا يصح ان نّعد نيتشه اكبر مدمر للاقنعة القديمة ومبتكر اقنعة جديد.

The Mask: A Reading in the Light of Nietzsche›s Philosophy

Senior Lecturer Dr. Hijran Abdul-Ilah Ahmed

Abstract

Nietzsche found himself in an era that can be likened to a masquerade party, and most of the values of his time were merely false, deceptive, and disguised. He had no choice but to use his hammer to strike and destroy those masks, to reveal the true hidden identities, as he removed the masks worn by holy men hiding from the world of truth having become just a false idea of fabrication. He also removed of the mask of Christian ethics, in order to restore the virtues to man, and to

١ قسم الفلسفة-كلية الآداب -جامعة الموصل

return the values more closely attached to earth and life. Despite the fact that Nietzsche refused to hide behind a metaphorical mask, he could not conceal his admiration for the mask, and everything profound. He saw that the more people climbed up the social ladder and became more prominent and powerful, the more they wore such masks. Therefore, the mask was for him as a philosophical strategy with many connections, that is, it did not have a passing presence that was diminished at the first sight of criticism and destruction. Rather, it is fair to say that everything in Nietzsche's philosophy is a (mask), so if in the old days the leader of a tribe, or its priest, or its magician wore a religious mask to control and intimidate to frighten their enemies, Nietzsche is also found to wear various masks to camouflage and disguise on the one hand, and to show a new identity on the other. The identity of the higher being (Supreme Man - Superman) was a mask behind which Nietzsche would hide after the tragic incidents that happened in his life. In order to redraw the map of human values and virtues, in accordance with the personality of a hero, and the nature of the mask being a trait for all superheroes who commenced their heroics with concealed identities after having harsh experiences, and tragic accidents, so it is correct to say that we consider Nietzsche the greatest destroyer of old masks and the innovator of new ones.

كلمات مفتاحية: القناع، التخفي، الاظهار، الوهم، الحقيقة، نيتشه

The mask, disguise, reveal, illusion, truth, Nietzsche. **Keywords**:

القناع – قراءة في ضوء فلسفة نيتشه

المقدمة:

يتناول هذا البحث الموسوم القناع – قراءة في فلسفة نيتشه، حيث يعّد القناع واحداً من أهم استراتيجيات التفكير الفلسفي عند نيتشه، فاهتمامه بالقناع كان نابع من اهمية وحضور القناع في الحقل الثقافي والحضاري البشري، فقد وظف القناع في دلالاته الاولى للتمويه والتخفي من اجل اصطياد الطرائد، وللتماهي مع المقدس، والحال لا يختلف كثيراً من وجهة نظر نيتشه، حيث وجد للقناع حضور في تمويه الكثير وخداع الناس، باسم المقدس والقيم العليا، وقيم العالم الميتافيزيقي، فما كان منه الا ان يعمد الى مطرقته ويحطم كل الاقنعة الزائفة، ثم عمد الى استخدام القناع كوسيلة لتمرير كثير من الافكار،

ولابتداع هوية جديدة ثائرة متمردة على كل ما هو سائد، ومن اجل الوصول الى فهم كل تلك الحيثيات كان لازماً علينا تقسيم محاور البحث الى اربعة محاور تناول الاول منها الاصل اللغوي والاصطلاحي للقناع، والمحور الثاني تناول العناصر المادية والغائية للقناع، والغاية من هذا المدخل، إيجاد الدلالات الأولى لاستخدامات القناع، ثم محور ثالث فتش عن تلك الدلالات في فلسفة نيتشه وفي طريقة تفكيره، متكئين على حياته الخاصة ونتاجه الفلسفي، الذي امتاز بنقده الشديد لكل ما هو زائف وغير حقيقي، وانكاره لكل ما هو متنكر، اما المحور الاخير تناول اقنعة نيتشه، فعلى الرغم من رفضه التخفي وراء الاقنعة ونزع اقنعة الحصانة عن كثير من افكار وقيم عصره، الا انه لم يخف اعجابه بالقناع وبكل ما هو عميق، لذا يعّد البحث في موضوع القناع عند نيتشه، امر لا يخلو من الصعوبة، ويظن القارئ لولا وهلة ان هناك تناقض في موقفه من القناع، فهو تارة يرفض كل ما هو زائف ومتخفي، وتارة اخرى لا يخفي اعجابه بكل ما هو عميق ومقنع.

١- القناعة لغة و اصطلاحاً:

يورد لفظ القناع بمعانٍ عدة في المعاجم العربية و الاجنبية ، حيث يأتي بمعنى ما تغطي المرأة رأسها، وغشاء القلب، والشيب، وما يستر به الوجه. و يقال: القى عن وجهه قناع الحياء: لم يستح (الزيات ، ١٩٩٥،المعجم الوسيط، ص ١٤٦).

اما كلمة قناع في اللغة العربية مأخوذة من فعل قنّع بمعنى غشى و غطى اي لبس، ولا فرق بين القناع و المقنعة، واللحاف والملحفة (ابن منظور، ١٩٩٢، لسان العرب، ص ٣٠).

أما كلمة masque و mask فتنحدر من الإيطالية mascher التي تعني أسود، وقد تكون متأتية عن اللاتينية المتأخرة التي تعني الساحرة، ولذلك علاقة بعادة تلطيخ الوجه باللون الأسود في طقوس السحر؛ و masqueam بالفرنسية تعني شخص مقنع او قناع الموت او صورة عن الوجه تؤخذ بضغط الشمع او الطين على وجه الميت، و تعني كذلك معانٍ اخرى مثل كمامة واداة للوقاية من الغازات، او قناع لتسهيل النفس، وكذلك قناع التجميل او طلاء للوجه يجف فيشد البشرة (جبور، ١٩٨٣، المنهل، ص ٦٤٩).

أما القناع المستخدم في التراجيديا فكان يطلق عليه باللاتينية persoa وهي كلمة مأخوذة عن التعبير اليوناني الذي يعني ما يواجه الوجه، والصورة التي يعطيها الانسان عن نفسه للآخرين، ومنها أتت الكلمة اليونانية التي كانت تستخدم للدلالة على الوجه والقناع، وعلى الدور الذي يلعبه الممثل في التراجيديا حيث يضع القناع الخاص به، خاصة وان الممثل كان يؤدي عدة أدوار بالإعتماد على تبديل الأقنعة (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص٣٥٥).

كما يقال أتاه الرجل مقنعاً بالحديد، وهو المتغطي بالسلاح، و قيل هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة لأن الراس موضع القناع. وعموماً في اللغة العربية يدل على الإخفاء والستر والكتمان. وكذلك للدلالة على القوة والفروسية والبطولة الخارقة احياناً، فالمحارب عند لبس الخوذة سيحمي رأسه من الاصابة، و بالتالي يربح المعركة، كما يلعب القناع دور المحارب أمام العدو وقد يوحي باللبس والتوجس والرعب (الزيات، ١٩٩٥، المعجم الوسيط، ص ٥٦).

٢- تاريخية القناع (العناصر المادية والغائية للقناع):

لكي نفهم رمزية القناع لا بد لنا العودة الى تاريخية القناع والبحث في اركولوجيا القناع. فقد عرف الإنسان القناع منذ زمن بعيد وتعددت استعمالاته حسب الحقل الذي استخدم فيه، والغاية التي استخدم من اجلها.

تعود البدايات الأولى للقناع مع ظهور الإنسان البدائي وكان له صلة بالطقوس والاحتفالات المقدسة حيث كان التقنع حالة اساسية في تلك الطقوس التي كانت تقام احتفالاً بعودة مواسم الصيد او مواسم جني المحاصيل وحتى عند الولادة وكانت تلك الاحتفالات يتخللها الرقص المأتمي والرقصات الحربية والشبقية. ونظراً لارتباط ما هو معيشي (الصيد والزراعة)، مع ما هو طقوسي فقد عكست تلك الاحتفالات هذه العلاقة من خلال تقنع بعض الراقصين على شكل حيوانات مختلفة وتكشف ذلك الكثير من النقوش الدينية (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص ٣٥٥).

إن الاصول الاولى للقناع كانت محاكاة للطبيعة وتقليد لها، وكذلك المواد التي صنعت منها الأقنعة كانت مصنوعة من الطبيعة الخارجية، كالعظام او الخشب او اوراق الاشجار.

استمر حضور القناع في محاكاته للطبيعة، حيث أخذ الإنسان يستخدمه كوسيلة تمنحه سلطة (قوة الاشياء)، فأصبح الشبه معادلاً للأصل او وسيلة لإنتاج الأصل، بمعنى انه أصبح معادلاً للمحسوس او أداة للسيطرة على المحسوس، فدخل القناع في طقوس السحر واستحضار الأرواح من أجل جمع المحاصيل (ابراهيم، ٢٠٠٩، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، ص ١٤٢).

كما استخدم القناع في مستويات اخرى، مثل الوقاية من العدو، و التمويه على الحيوانات المفترسة، او المتمنعة حتى يسهل صيدها، وكثيراً ما استخدم الإنسان قرون الحيوانات وجلودها وحوافرها، لتشكيل قناع يسخره تارة لأغراض ما فوق طبيعية، وتارة لأغراض الصيد والتنكر، فعلى سبيل المثال نجد القبائل الافريقية استخدمت القناع في طقوسها الدينية، المأتمية، والاحتفالات في مواسم الزراعة والصيد (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح

والانثروبولوجيا، ص ١٤-١٥).

ويمكن اختصار القول ان استخدام القناع في المراحل الأولى كان له وظيفتان: وظيفة طقسية تمنحه السلطة، و وظيفة ثانية: للتمويه والتنكر، واستمر هذا الاستخدام للقناع في الحضارات القديمة، ووظف للاغراض نفسها، فاستخدم للتماهي مع الالهة، او في استحضار قوى غيبية من خلال تقليد هيئتها المتخيلة، حتى اعتبر الاندساس داخل قناع مقدس شرف لا يناله الا من يستحقه (ابراهيم، ٢٠٠٩، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، ص١٦٤).

عرفت الأساطير اليونانية القديمة ايضاً نوعين من القناع (القناع الطقسي والقناع المسرحي)، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالاحتفالات التي كانت تقام للآلهة، وفي المسرحيات التراجيدية والكوميدية (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا، ص ١٦٦). وتجدر الإشارة هنا ان القناع دخل الى المسرح اليوناني من الباب الديني (الطقوس الدينية)، فقناع الممثل المسرحي انحدر من القناع الطقسي عند اليونان ، والذي هو ليس سوى تعميم للقناع الديني الذي جسد الالهة، فالقناع كان وسيلة للتعبير رمزياً عن مظاهر ما فوق طبيعة، ومع مرور الوقت تحول القناع من وسيلة للتماهي مع الالهة ومع قوى غيبية، الى اداة تستخدم في المسرح، تسمح بإخفاء شخصية الممثل، او اداة تنكر في الاحتفالات الشعبية، وخاصة الكرنفالات فتحول دوره من الاستحضار والتماهي عبر المحاكاة الى نوع من المحاكاة التهكمية التي تعبر عن موقف جديد تجاه المقدس (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا، ص١٦٨) .

اذن فالمسرح اليوناني اضاف مستوى آخر للقناع، حيث ساهم في تحويل القناع من اداة اظهار للقوى التخيلية، واداة للتماهي مع القوى ما فوق الطبيعية، الى أداة اخفاء للقوى الموجودة، وللشخوص الحقيقية، أي إخفاء ما هو فردي وذاتي، من اجل ما هو جماعي وموضوعي.

ونجد أول من تكلم عن حضور ودور القناع في المسرح هو ارسطو في كتابه (فن الشعر) حيث يشير الى القناع والاقنعة في حديثه عن المرئيات المسرحية، التي تشكل اثراً تراجيدياً في الجمهور، ويرى للقناع دور كبير في العمل المسرحي الى جانب ادوات اخرى كالديكور، والازياء، وحركات الممثل، والقاءه (ارسطو، بلا ت، فن الشعر، ص٢٨). كما تطرق ارسطو ايضاً الى حضور القناع ضمنياً عند مقارنته بين (التراجيديا والملحمة) من حيث تشخيص الادوار والانتقال من ممثل واحد الى ممثلين ثم الى ثلاثة ممثلين، إلا إن هذا لا يعني أن شخوص المسرحية اليونانية كانت محدودة في ثلاثة فقط، لأن الممثل كان يسند اليه اكثر من دور، وكان يتحرك بين هاته الادوار اعتماداً على الأقنعة وتبديل الازياء والأصوات الدينية (الياس، ٢٠٠٣، المعجم المسرحي، ص٣٥٦).

كذلك نجد إسهام أخر للمسرح الياباني في اعطاء بعد جمالي للقناع، حيث ارتبط القناع بالمقدس بشكل قوي، وشكل عنصراً اساسياً في الطقوس المقدسة او في الاعمال المسرحية في اليابان، وعمل المسرح الياباني على تحويل القناع من اداة مقدسة ترتبط بتخيل وتمثيل الالهة على خشبة المسرح، وتجسيد قوتها، وتحويلها الى عنصر جمالي، فأضافت اليه الإكسسوارات والالوان، ولهذا يحسب الاسهام للمسرح الياباني في نقل القناع من الاطار الديني الى الاطار الجمالي، وحافظ القناع على حضوره القوي في المسرح الوسيط والحديث والى يومنا هذا على مكانة قوية. (يوسفي، ٢٠٠٠، المسرح والانثروبولوجيا ص ١٦٦).

اما حديثاً فقد ظهرت للقناع تمظهرت كثيرة وعلى مختلف المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية. حتى بات حضوره كحالة جمالية وفنية، و وقاية، او كحالة ترمز للتمرد ولكسر القوانين، واضيف له العديد من المهام والارتباطات والاشتراطات حتى اصبح جزء من عالم يتسم بالسيولة والتغير الدائم والمتسارع.

٣- منطق القناع عند نيتشه (آلية التخفي والتّجلي):

بعد البحث في أصل كلمة القناع وبيان دلالة الجذر اللغوي للكلمة وللعلل الغائية والمادية للقناع، يمكن تلخيص القول ان للقناع وظيفتين اساسيتين هما (التخفي والتمويه) من جهة (والتجلي والإشهار) من جهة اخرى، وسنحاول البحث عن آليات التخفي والتخلي في النص الفلسفي النتشوي ، حيث يستخدم نيتشه القناع كاستراتيجية في التفلسف وبارتباطات كثيرة.

لا يخفى على الكثيرين من الباحثين في فلسفة نيتشه ان فلسفته تعّد محاولة شرسة للتصدي لكل الثنائيات التي عرضها تاريخ التفلسف، فالفلسفة من وجهة نظره كانت قائمة على فكرتين اساسيتين: هما التمييز بين المظهر والجوهر وفكرة وجود حقيقة تكمن وراء عالم الظواهر والمحسوسات، وعّد هذا التقسيم نوع من انواع الانحطاط الفكري «ان تقسيم العالم الى عالم حقيقي، وعالم ظواهر سواء على الطريقة المسيحية او على طريقة (كانط) نوع من انواع الانحطاط، عرض عن حياة في طور الانحدار (نيتشه، ٢٠١٠، غسق الاوثان، ص ٤٣).

لهذا جعل نيتشه مهمته الأهم هي الاطاحة بهذه الثنائية، و كشف زيف و كذب الادعاء بوجود عالم حقيقي مثالي وراء عالم الظواهر، وعّد هذه المهمة آخر وافضل انجاز تعتد به البشرية (نيتشه ، ٢٠٠٩ ، هذا هو الانسان: ص ١٤).

إن كشف زيف هذا الادعاء هو بمثابة كشف للأقنعة، فالعالم الحقيقي هو مجرد فكرة يقينية لدى البعض، لكن في الحقيقة هي مجرد فكرة مقنعة بقناع القداسة، فنيتشه يرى القول بأن هذا العالم المنيع الذي لا يمكن إدراكه ولا إقامة الدليل عليه او

بلوغه الا بواسطة الإنسان الحكيم الورع الفاضل مجرد زيف وادعاء كاذب، حتى انه عّد القول بالحقيقة مجرد فكرة مقنعة «العالم الحقيقي كشيء يمكن ان يدركه الحكيم المتدين صاحب الفضيلة ... انه الشكل الارقى لفكرة ذكية نسبياً، بسيطة مقنعة « (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان : ص٤٥) . نلاحظ هنا يمارس نيتشه استراتيجية نزع الأقنعة من أجل رفض ربط ما هو ظاهري بما هو سطحي و ضحل، و ما هو عميق بما هو حقيقي ويقيني، والتأكيد على ان عالم الظواهر السطحي هو العالم الوحيد المتبقي بعد إبطال فطرة العالم الحقيقي (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان، ص٤٧) .

يرى نيتشه البحث عن عالم الحقيقة نوع من الحمق لان الحقيقة اشبه بقناع ملون «طالب الحقيقة، لا شيء سوى احمق، لا شيء سوى حيوان مفترس ماكر متسلل، عليه ان يكذب دوماً عن وعي وقصد متلهفاً الى الطريدة تحت اقنعة ملونه» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تلكلم زرادست: ص٥٥٢). فطالب الحقيقة ليس سوى شخص أحمق متنكر بقناع وهي إشارة صريحة الى تقنيات استخدام القناع من قبل طالب الحقيقة، ويقول ايضاً: «الحقيقة ليست سوى قناع زائف لمهرج يكذب بأحاديث منمقة» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تلكم زرادشت: ص ٥٥٢) .

لم يقف سعي نيتشه عند تحطيم قناع الحقيقة بمطرقته وإنكار ادعاء الوجود الحقيقي وكشف كذب ادعائهم، بل يذهب الى ابعد من ذلك فهو يرغب بتحطيم كل ما تحمس له الناس من مفاهيم مرتبطة بعالم الحقيقة مثل (الله)، (النفس)، (الفضيلة)، (الخطيئة)، (الحياة الخالدة)،... وغيرها من المفاهيم الميتافيزيقية التي سيطرت على تاريخ الفلسفة عموماً، وتاريخ الفلسفة الغربية خصوصاً، فحسب اعتقاده لم تكن الفلسفة فيما مضى قادرة على البقاء لولا استخدامها لقناع ديني زاهد «ان الفلسفة كانت فيما مضى مستحيلة بدون قناع نسكي» (نيتشه، ١٩٨١، اصل الاخلاق وفصلها: ص١٢٤)، حتى الفيلسوف من وجهة نظره ليس سوى تطور للنموذج الكنسي (نيتشه ، ٢٠١١، ارادة القوة، ص١٩١) .

ان نزعة نيتشه التدميرية نابعة من نظرة عميقة للواقع الذي يعيش فيه، والذي شخص فيه كثير من الزيف والتنكر، لذا سعى الى تحطيم كل الأقنعة التنكرية، وسعى الى تحطيم كل القيم السائدة في عصره، وإبداع قيم جديدة تتناسب مع هويته الجديدة، وقناعه الجديد، المتمثل بهوية البطل الخارق (الإنسان الاعلى)، و هو أمر إعتاد كل الأبطال الخارقين إتباعه.

أرجع نيتشه اسباب انحطاط عصره الى سلطتين: هما (سلطة العقل) و(سلطة الدين)، فالفلسفة العقلية تؤمن بقدرة العقل على اكتشاف الحقيقة التي افترضت

وجودها مسبقاً، كما تؤمن بوجود منزلة الهية للإنسان (نيتشه، ٢٠١٠، غسق الاوثان: ص٤١)، وترجع هذه السلطة (السلطة العقلية) كل القيم الانسانية الأخلاقية والجمالية، تربطها بنظرية المعرفة وترجعها الى مصدر ما فوق إنساني «القيم الاخلاقية والجمالية، حتى في نظرية المعرفة، انطلقت من الثقة بالعقل، وافترضت العالم المتغير، عالم المظاهر انه عالم متناقض، من اجل الحفاظ على متعة القيم، والقيم العليا» (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة: ص٢٥٣).

اما السلطة الدينية متمثلة بفكرة الله، فقد عدّها احدى أفسد الافكار وهي فكرة من اختلاق العقل البشري، وهي فكرة معادية للحياة وللرغبة في الحياة «اخترع الانسان مفهوم الله على انه المفهوم المقابل للحياة، هو كل شيء ضار، ومسمم، وفاضح، ومعادٍ تماماً للحياة، كلها معانٍ مترابطة معاً في وحدة مخيفة، وان مفهومي الماوراء والعالم الحقيقي قد اخترعا حتى لا تترك اي هدف، اي دلالة مهمة لحقيقتنا الارضية» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان : ص١٨٣).

لذا بات على نيتشه ارتداء قناع التمرد على هذه المفاهيم ليثور ليس للدفاع عن مجتمعه على غرار قناع spider-man)(او قناع (the mask of zorro) او (superman)، كمدافع عن القيم الاجتماعية والعدالة، لكن على غرار شخصية المقنع (V for vendetta)، قناع الثورة والتمرد ضد المجتمع وقوانينه، وضد القيم القائمة قيم الانحطاط والانحلال، وفرض نظام جديد وقيم جديدة تعّلي من قيم البطولة والشجاعة.

من أجل الوصول الى هذه الغاية كان لا بد لنيتشه ان يعلن (موت الله)، وتحرير الفلسفة والقيم من قناعها النسكي، وتخليصها من هذه الفكرة الزائفة، (فموت الله) بمثابة رفض لمفهوم الحقيقة والغاء لمفهوم الآخرة من حقل الثقافة، وازاله أي اعتقاد بوجود عالم مفارق للعالم الارضي، عالم المحسوسات، وعند الغاء الايمان (بفكرة الله، والعالم الاخر)، لم يعّد لرجل دين بعد هذا الإعلان القدرة على الحديث عن عالم مقدس وعالم مدنس، ولا بإمكان الفيلسوف الحديث عن المحسوس والمثل او الظاهر والشيء في ذاته، حيث ستتخلص ثقافتنا من كل هذه الثنائيات (نيتشه، ٢٠١٠، هذا هو الانسان: ص ٧٤). وسيصبح الإنسان عندها هو المسؤول عن قيمهِ وافعالهِ وسلوكياتهِ، ولا توجد بعد الان اي سلطة عليا تحدد قيمه أو سلوكياته، ويغدو هو مقياس الأشياء، وهو الذي يمنح قيمة للأشياء.

لا تقف حدود نزع (قناع القداسة) عند الغاء الثنائية في الحقل المعرفي والأنطولوجي، بل لها أثار اخلاقية مدمرة ابعد من ذلك، فالقيم ستحرر وستعود الفضائل الى عالم الارض والجسد، وتعود للإنسان قيمهُ المسلوبة منه باسم قيم عليا وباسم الدين «لا تدعو فضيلتكم تقلع عن الاشياء الارضية وتظل تخبط بأجنحتها على جدران ابدية،

اعيـدوا مثـلي كل الفضائـل المحلقـة في التيـه الى الأرض؛ اجـل الى الجسـد و الى الحيـاة، كي تمنـح الارض معناهـا؛ معنـى إنسـانياً» (نيتشـه، ٢٠٠٧، هكـذا تكلـم زرادشـت: ص١٥٢). ان مهمـة اعـادة القيـم والفضائـل الى العـالم الارضي تقتـضي فضـح القيـم التـي تسـتخدم (الفضائـل كقنـاع) عـلى حـد تعبـير نيتشـه (نيتشـه، ٢٠١١، ارادة القـوة: ص١٨٩).

لـذا يصـح القـول عـن نيتشـه انـه « مدمـر الأقنعـة القديمـة ومبتكـر اقنعـة جديـد « (kaufman,1950 Nietzsche: philosopher, psychologist, antichrist, Princeton,p:24). وهـو أمـر يعـترف بـه عـلى لسـان زرادشـت «ان نـزع قنـاع الاخلاقيـات المسـيحية هـو حـادث فريـد، كارثـة حقيقيـة، ان مـن يلـق الضـوء عليهـا هـو (قـوة كـبرى)، قـدر ومصـير؛ انـه يقسـم تاريـخ البشريـة الى قسـمين كالـبرق» (نيتشـه، ٢٠٠٩، هـذا هـو الانسـان: ص١٨٢)، ويقـول ايضـاً: «مـن ينـزع قنـاع الاخلاقيـات ينـزق في الوقـت نفسـه قنـاع عـدم جـدارة القيـم التـي يعتقـد بهـا النـاس او قـد امنـوا: انـه لا يـرى شـيئاً جديـراً بالتقديـر في اشـد النـاس تبجيـلاً – حتـى في نمـط النـاس الـذي اعلـن انـه مقـدس، انـه لا يـرى فيهـم سـوى اشـد انـواع السـقوط باعثـاً عـلى المأسـاة المميتـة» (نيتشـه، ٢٠٠٩، هـذا هـو الانسـان: ص١٨٢-١٨٣).

قسـم نيتشـه الأخـلاق إلى قسـمين بنـاءً عـلى وجـود نوعـين مـن الأجنـاس، جنس الأسـياد الاحـرار وجنـس العبيـد المقموعـين والمتألمـين الـلا- احـرار. ولـكل واحـد مـن هـذه الأجنـاس مجموعـة مـن الصفـات ميزتـه ومكنتـه مـن صياغـة أخـلاق وفقـا لصفاتـه. فالصفـات التـي يحملهـا السـادة الاحـرار هـي صفـات الغلبـة والشـموخ والنفـس السـامية التـي تحتقـر كل مـا هـو جبـان وخائـف ومـتردد والحريـص عـلى المنفعـة الضيقـة، امـا صفـات العبيـد الـلا- احـرار فهـي نابعـة مـن شـعور مـن روح الانتقـام فـكل مـا يفكـر بـه الانسـان المغلـوب والمسـتضعف إنمـا هـو قنـاع للانتقـام مـن سـيده المتسـلط عليـه. وهـذا منـذ أن بـدأت الحضـارة المسـيحية بصـورة خاصـة (نيتشـه، ٢٠٠٣، مـا وراء الخـير والـشر: ص٢٤٩-٢٥٠)، فالأخـلاق مـن وجهـة نظـره ليسـت سـوى قنـاع يتـوارى خلفـه حسـد المسـتضعفين مـن سـادتهم ليقيـدوا سـلطاتهم وقوتهـم. ويـرى نيتشـه ان مصـدر هـذه القيـم (قيـم السـادة العبيـد) قـد جـاء إلى ثقافتنـا الحاليـة مـع بدايـة اليهوديـة والمسـيحية (نيتشـه، ١٩٨١، اصـل الاخـلاق وفصلهـا: ص٣٠).

ان تباعـات نـزع قنـاع القداسـة عـن فكـرة الحقيقـة لم يقـف عنـد حـدود إلغـاء وجـود عـالم الحقيقـة، واعـادة الاعتبـار لقيـم السـادة عـلى حسـاب قيـم العبيـد، بـل أدت الى الغـاء طـرق الوصـول الى تلـك الحقيقـة، فـلا معنـى مثـلاً بعـد الان لقولـه الزهـد طريقـاً لبلـوغ الحقيقـة، ولم يّعـد الزاهـد عرافـاً للحقيقـة بعـد هـذا الإعـلان (إعـلان مـوت اللـه)، وهـو يـرى في الزاهـد مجـرد شـخص مـراوغ يرتـدي قنـاع الزهـد مـن أجـل الشـعور بالأمـان «تتمتـع الـروح بتعـدد ومراوغـة اقنعتهـا، كـما تمنـح الشـعور بالأمـان» (نيتشـه، ٢٠٠٧، هكـذا تكلـم زرادشـت: ص١٩٤)،

ويقـول ايضـاً: «مـا الـذي يعنيـه المثـل الزهـدي في جميـع اشـكاله؟ بالنسـبة للفنانـين لا يعنـي شـيئاً، وقـد يعنـي في بعـض الاحيـان اشـياء كثـيرة، بالنسـبة للفلاسـفة وللعلـماء يعنـي شـيئاً مـن قبيـل السـليقة والغزيـرة مـن اجـل تلمـس الـشروط الملائمـة للروحانيـة الرفيعـة... وهـو يعنـي عنـد الكهنـة الايمـان الكهنـوتي الحقيقـي، أداة نفوذهـم المفضلـة، ايضـاً رخصتهـم (العليـا) التـي تخولهـم الوصـول الى السـلطة، وهـو اخـيراً عنـد القديسـين ذريعـة للنـوم الشـتائي، راحتهـم في العـدم (اللـه)، وتجـلي عتههـم وداءهـم العقـلي؛ عـلى العمـوم هـذا التنـوع في معنـى المثـال الزهـدي عنـد الانسـان الطابـع الجوهـري لـلإرادة البشريـة؛ خوفـه مـن الفـزاع : انـه بحاجـة الى هـدف حتـى يفضـل ارادة للعـدم عـلى ان لا يكـون لـه إرادة ابـداً» (نيتشـه، ١٩٨١، أصـل الأخـلاق وفصلهـا: ص٩٥). بعـد الغـاء فكـرة اللـه وفكـرة العـالم الحقيقـي، لم يعّـد المثـل الزهـدي طريقـاً صالحـاً للوصـول الى الحقيقـة، ولا مخبـأ لهـا، ولا احـد يتحمـل اعبـاء ومسـؤولية الزهـد بعـد ان نُـزعَ قناعـهُ (دولـوز، ٢٠١١، نيتشـه والفلسـفة: ص٢٧).

يصـف نيتشـه السـبل التـي سـيطرت بهـا المثـل الزهديـة عـلى الوعـي الانسـاني، وزيفتـه، عـبر تقنيـة اسـتخدام ثلاثـه اشـكال للأقنعـة التنكريـة فيقـول تحـت عنـوان (الشـبقية و تقناتهـا): «اولاً عـبر تنكرهـا في شـكل مثاليـة (افلاطـون) خاصـة مرحلـة الشـباب، ثانيـاً تنكرهـا في ديانـة المحبـة، وثالثـاً في الفـن كقـوة تزينيـة» (نيتشـه، ٢٠١١، ارادة القـوة: ص١٤٩) .

٤- أقنعة نيتشه – الاختفاء والتجلي

عـلى الرغـم مـن رفـض نيتشـه التخفـي وراء قنـاع القداسـة، إلا انـه لم يخـف إعجابـه بالقنـاع بـكل شيء عميـق (نيتشـه، ١٩٨١، اصـل الاخـلاق وفصلهـا: ص١٢٢– ١٢٣)، فهـو يـرى ان النـوع الإنسـاني كلـما ارتفـع وارتقـى ازداد اسـتخدامه للقنـاع (نيتشـه، ٢٠٠٣، مـاوراء الخـير والـشر: ص٢٦٥)، فالقنـاع عنـده وكـما ذكرنـا يمثـل إسـتراتجية فلسـفية لهـا ارتباطـات متنوعـة، وعـلى حـد قـول دولـوز: «كل شيء قنـاع، لـدى نيتشـه» (دولـز، ١٩٩٨، نيتشـه: ص١١)، فالقنـاع بشـكل عـام و كـما وصفنـاه سـابقاً لا يسـتخدم للإخفـاء والتمويـه فقـط، بـل يسـتخدم لإظهـار ولإشـهار هويـة جديـدة ايضـاً، غالبـاً مـا تكـون بعـد حـدث مأسـاوي ولعـل قـدر نيتشـه قـدر كل الأبطـال الخارقـين الذيـن بـدأوا حيـاة القنـاع بعـد تجربـة قاسـية. فعـلى سـبيل المثـال (Batman) فقـد والديـه، ورجـل العنكبـوت(spider-man) فقـد عمـه الـذي تـولى تربيتـه بعـد والـده(Langley, 2012, Batman and psychology, p:62-63). فخسـارته لوالـده في سـن مبكـرة اثـر حـادث مؤسـف، سـبب لـه صدمـة موجعـة يذكرهـا نيتشـه بقولـه: «لقـد مـات ابي في سـن السادسـة والثلاثـين، لقـد كان مريضـاً و محبوبـاً، ورفيقـاً، اشـبه بمـن كتـب عليـه المصـير ان يعيـش عمـراً قصـيراً، وفي هـذه السـنة نفسـها التـي انهـارت فيهـا حياتـه انهـرت انـا ايضـاً... تدنـت حيويتـي الى أدنى نقطـة لهـا» (نيتشـه ، ٢٠٠٩، هـذا هـو الانسـان: ص٢٣).

فهـذا الحـدث كان مصـدر لـلألم ولخيبـات الامـل لنيتشـه، فبعـد ان انهـارت حياتـه انهـارت هويتـه ايضـاً، فأنشـأ هويـة جديـدة محـاولاً اعطـاء قيمـة جديـدة للعـالم الـذي لم يعـد لـه معنـى. هـذه الاليـة نشـهدها عنـد أغلـب الأبطـال الخارقـين، فحيـاة هـؤلاء الأبطـال طالمـا كانـت مرتبطـة بشـدة بحـدث دراماتيـكي ومترافقـة بالحـزن وبتجربـة العبـث. وليـس غريبـاً ايضـاً ان يكـون الأبطـال الخارقـين دومـاً هـم مـن الايتـام، ولعـل في ذلـك إشـارة الى افتقارهـم للرعايـة وغيـاب التعليـم الـذي يخلـق فـراغ في المعنـى لـدى هـؤلاء الأبطـال، فيجـدون نفسـهم مضطربـين بسـبب المواقـف الموجعـة والمؤلمـة، التخفـي خلـف هويـة خاصـة بهـم تمنـح للعـالم مـن حولهـم معنـى وجـدوى(Satre, 2001, Being and nothingness in phenomenological ontology, p:262). فسـوبرمان نيتشـه او)الإنسـان الاعـلى(هـو تجّـلي لهويـة جديـدة، ولـولادة جديـدة بعد الاحـداث المأسـاوية التـي تعـرض لهـا، عـلى مـرّ حياتـه مـن خسـارة والـده الى فقدانـه للصحـة والاصدقـاء وهـو مـا يؤكـده نيتشـه بقولـه ان هـذه الاحـداث سـبب وراء هـذه الـولادة الجديـدة «ان بعـض النـاس يولـدون بعـد وفـاة والديهـم» (نيتشـه، ٢٠٠٩، هـذا هـو الانسـان: ص٧١).

ان ارتـداء نيتشـه قنـاع القـوة (الانسـان الاعـلى) يـأتي مـن اجـل الظهـور بمظهـر القـوي مـن جهـة كقنـاع اظهـار لإخافـة اعـداءه، وكقنـاع اخفـاء لضعفـه ومرضـه وحاجتـه للأصدقـاء « غالبـاً مـا يهاجـم المـرء، ويخلـق عـدواً كي يخفـي انـه عرضـة للاعتـداء» (نيتشـه، ٢٠٠٧، هكـذا تكلـم زرادشـت: ص١١٥)، فالتخفـي تحـت قنـاع القـوة هـو دليـل عـلى اخفـاء للضعـف والوهـن الـذي يشـعر بـه واخفـاء حساسـيته العاليـة، وانسـانيته المفرطـة في الانسـانية، ولعـل تسـميته احـد كتبـه بعنـوان (انسـان مفـرط في انسـانيته) دليـل عـلى ذلـك الضعـف وعـلى تلـك الانسـانية المفرطـة، حتـى انـه يصـف دوافعـه وراء هـذا الكتـاب بالقـول: « كـم كنـت بحاجـة في احيـان عديـدة الى البحـث عـن ملجـأ لي في ضروب متنوعـة مـن الاعجـاب والاعـداء، في منحـة علمـي او في نـزق او حماقـة مـن اجـل الاسـتراحة مـن نفـسي، ومـن اجـل ان انـسى نفـسي لفـترة مـن الزمـن... اني اشـعر بالحاجـة اليـه مـن اجـل علاجـي واسـتعادة عافيتـي هـو الايمـان بانني لسـت وحيـداً» (نيتشـه، ٢٠١٤، انسـان مفـرط في انسـانيته: ص١١- ١٢ ضمـن توطئـة المؤلـف).

يسـتخدم نيتشـه القنـاع بتقنيـات اخـرى ولأهـداف اخـرى، فهـو يتنكـر بقنـاع الصحـة ليخفـي بـه المـرض، وهـذه تقنيـة التفلسـف مـن رواء الاقنعـة، يرصدهـا جيـل دولـوز بقولـه: « لـدى نيتشـه الصحـة و قنـاع اول لعبقريتـه، والآمـه قنـاع ثـانٍ لعبقريتـه ولصحتـه في الوقـت ذاتـه» (دولـوز، ١٩٩٨، نيتشـه والفلسـفة: ص١١). ونيتشـه يتقـن اسـتخدام هـذه التقنيـة بـادراك جيـد منـه «قـد يَصلـح المـرض ان يكـون باعثـاً قويـاً عـلى الحيـاة وعـلى وحـدة الحيـاة، وهكـذا كانـت نظـرتي لفـترة مـرضي الطويلـة: لقـد بـدأت آنـذاك كـما لـو كنـت قـد اكتشـفت حيـاتي مـن جديـد، اكتشـفت مـا تتضمنـه ذاتي» (نيتشـه، ٢٠٠٩، هـذا هـو الانسـان: ص٢٦). فمـرض نيتشـه كان

حافزاً للإبداع، ومن خلاله استطاع النظر الى الصحة ومن الضعف استطاع النظر الى القوة. كان نيتشه كلما اشتد عليه المرض كانت تشتد دعوته للقوة والصحة، فالحكم على قيمة الصحة جاء بعيني مريض وحكمه على قيمة القوة بحكم شخص شديد الحساسية او مفرط في حساسيته فنجده يقول تحت مقال بعنوان (لماذا انا حكيم جداً): «انني اخصائي في مسائل التدهور والانحطاط؟ انني امتلك السيكولوجيا الخاصة (برؤية ما وراء الزاوية)، انني امتلك رؤية المفاهيم والقيم الاكثر صحة من وجهة نظر المريض والعكس ايضاً، رؤية العمل السري لغريزة الانهيار من الوفرة والثقة بالذات لحياة غنية، هذه هي تجربتي الرئيسة، وهو ما تدربت عليه كثيراً» (نيتشه، ٢٠٠٩، هذا هو الانسان: ص٢٥). ان حركية نيتشه في التخفي وراء قناع الصحة لمعرفة حقيقة المرض، والتخفي وراء القوة لمعرفة الانحطاط الموجود في عصره يسميها جيل دولوز بـــ (نقل المنظورات) فالمرض عنده يصبح اداة لتقويم الصحة، والصحة تغدو اداة لتقويم المرض فمن الصحة الى المرض، من المرض الى الصحة، استطاع وضع طريقة خاصة به في التفلسف (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه والفلسفة: ص١٠)، إن إدمان نيتشه على تقنية التنكر بـ (قناع الصحة والمرض) دفعت البعض من اصدقاءه الى الاعتقاد ان جنون نيتشه كان (قناعه الاخير) وان جنونه بحد ذاته القناع الذي يخفي معرفة محتومة واكيدة جداً (دولوز، ١٩٩٨، نيتشه والفلسفة: ص١١). وفقاً لحركية التقنع في فلسفة نيتشه يمكن تفسير كثير من مضامين فلسفته فدعوته للوحدة و العزلة، يمكن عّدها دعوة مقنعة لإخفاء مرضه ووهن جسده فالأشخاص الاصحاء هم اقدر على التواصل ويستمتعون بالتواصل مع الاخرين، اما الشخص المريض والمتعب لا يقدر على التواصل ويميل الى العزلة، من اجل الحفاظ على ما تبقى من الصحة. فعندما يدعو نيتشه الى الوحدة بقوله: « فرّ الى وحدتك يا صديقي، اني اراك مخدراً بصراخ الرجالات العظام ومرمي بإبر الصغار» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص١٠٧)، نرى فيها دعوة لتبرير الضعف ولتمجيد الضعف، ونفهم من قيمة الوحدة والدعوة الى العزلة التي ترد في كل كتاباته كإحدى الفضائل الاربع التي يجب التحلي بها الى جانب فضائل اخرى مثل الشجاعة والتبصر والتعاطف، هي مجرد قناع للتخفي بسبب المرض «ليظل المرء متمسكاً بتملكه بفضائله الاربع؛ فضيلة الشجاعة وفضيلة التبصر وفضيلة التعاطف وفضيلة الوحدة. ذلك ان الوحدة فضيلة عندنا، كنزوع مقدس للنقاوة يجعلنا نحدس كيف ان احتكاك الانسان بالإنسان داخل المجتمع يؤدي حتماً الى التدنس» (نيتشه، ٢٠١١، ارادة القوة، ص٢٧١). اذن يفهم من دعوة نيتشه للوحدة والعزلة دعوة تنكرية لتبرير عدم قدرته على التواصل بسبب تدهور حالته الصحية الصعبة الذي وصل الى حد كبير حتى انه لم يستطيع الكتابة الا نادراً ولم يستطيع ان يعاشر احداً ولا حتى بمقدوره سماع

الموسيقى (نيتشه، ٢٠١٤، انسان مفرط في انسانيته: ص ١٦).

لم يقف تنكر نيتشه في تأديته ادوار الصحة المرض تحت الاقنعة السابقة، بل تبنى اقنعة اخرى لإخفاء توتره النفسي والاستمتاع بقدرته على التلاعب بالآخرين، كما يفعل الممثل المسرحي تماماً. فالتوتر النفسي الذي مرّ به نيتشه بسبب خسارته لـ (فاغنر) الفنان الموسيقي الذي اعجب به، قبل انهيار ذلك الاعجاب وتحوله الى عداء شرس انتهى بوصف فاغنر بانه سبب من اسباب التخلف والانحطاط (ديورانت، ١٩٧٥، قصة الفلسفة: ص٥٠٨)، وكذلك رفض الفتاة الوحيدة التي احبها (لوسالومي) الارتباط به بعد ان تقدم لها، دفعه الى ارتداء قناع اخر يسميه نيتشه بقناع (القسوة الرقيقة) على حد توصيف « القسوة الرقيقة باعتبارها فضيلة، هذه اخلاقية تقوم كلية على الحاجة الى التميز، ... نطمح للإساءة للآخر، ونشعره بالعجز والضعف؛ نريد ان نذيقه مرارة مصيره بجعله يتذوق حلاوة عسلنا، ها هو قد اصبح متواضعاً بشكل كلي، ابحثوا عن الذي كان يسعى منذ مدة لتعذيبهم بتواضعه وستجدونه! هذا الذي يظهر رفقة بالحيوان فيثير اعجاب الناس بذلك، ولكن يطلق العنان لقسوته تجاه بعض الناس» (نيتشه، ٢٠١٣، الفجر: ص٣٢)، ويقول ايضاً: «ما هي اخلاقيات التميز، في نهاية المطاف، ليس الا المتعة الناتجة عن قسوة رقيقة» (نيتشه، ٢٠١٣، الفجر: ص٣٢)، ولعل هذه القسوة الرقيقة هي ما تفسر لحظة انهياره الدراماتيكي الاخير، عندما رأى سائق عربة، وهو يضرب حصانه بقسوة مفرطة، فصرح بشدة وركض عبر الباحة ورمى بذراعيه حول عنق الحصان، وفقد وعيه وسقط وهو ما يزال ممسكاً بعنق الحصان، ونقل على اثر هذا الحادث الى غرفته، وبقي مغشياً عليه فترة طويلة، وعندما استفاق لم يعد اليه وعيه كما كان (بدوي، ١٩٨٤، الموسوعة الفلسفية، الجزء الثاني : ص٥٠٨)، لكن على الرغم من هذه الشفقة المفرطة تجاه الحيوان لم يبدي نيتشه اي رحمة تجاه الاخرين، وهو تناقض الا على يفسر الا وفق رؤية نيتشه نفسه لمفهوم (القسوة الرقيقة)، كذلك نجد موقفه من النساء يخضع للمفهوم نفسة فنراه يقول: «اذا ذهبت الى النساء فلا تنسى السوط» (نيتشه، ٢٠٠٧، هكذا تكلم زرادشت: ص١٣٣)، فالموقف من النساء فيه قسوة تجاههن، وهذه القسوة تخفي ضعفه تجاه النساء، وتجمل تجربته القاسية مع الفتاة التي اعجب بها (لوسالومي)، لذا يمكن القول تحت قناع القسوة الرقيقة يمكن العثور على (لوسالومي).

خلاصة القول حساسية نيتشه المفرطة، ومشاعره الرقيقة، كانت تقف وراء تنكره بأقنعة القسوة والصحة والبطولة، واذا ارتدى زعيم القبيلة كان قديماً، وكاهنها، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والترهيب، فان نيتشه ارتدى اقنعة مرغماً لإظهار هوية جديدة، بعد ما مّر به من تجارب قاسية.

الخاتمة

حظي القناع في الثقافة المعاصرة بحضور مميز في أغلب الحقول الفنية والثقافية والاجتماعية واصبح جزء من الواقع المعاش، واذا كان لهذا الحضور المميز جذور تاريخية وثقافية وحضارية عميقة، ويمكن اختصار القول في البحث في دلالات القناع في المراحل الاولى، بان للقناع وظيفتين اساسيتين هما وظيفة طقسية تمنحه السلطة، ووظيفة للتمويه والتنكر، واستمر هذا الاستخدام للقناع في الحضارات القديمة، فاستخدم للتماهي مع الالهة، فالأساطير اليونانية القديمة عرفت نوعين من القناع (القناع الطقسي والقناع المسرحي)، وبقي القناع محافظاً على حضوره القوي في المسرح الشرقي الذي اضاف له وظيفة جمالية، كذلك حضر القناع بقوة في الحقل الفلسفي، وتّعد فلسفة نيتشه، مثال على قدرة الفلسفة على توظيف دلالات القناع توظيفاّ فلسفياً، حيث وجد نيتشه نفسه في عصر اشبه بحفلة تنكرية، واغلب قيم عصره مجرد قيم زائفة مخادعة ومتنكرة، فما كان منه إلا أن يعّمد الى مطرقته ليدمر تلك الاقنعة ويحطمها، ليكشف عن الوجه الحقيقي المتخفي، حيث نزع قناع القداسة عن عالم الحقيقة، ليغدو مجرد فكرة زائفة من اختلاق العقل البشري، ونزع قناع الاخلاقيات المسيحية، رغبة منه في إعادة الفضائل الى الإنسان، ولتتخلص القيم من أي عالم مفارق للحياة وللواقع المعاش، وعلى الرغم من رفض نيتشه التخفي وراء الاقنعة إلا انه لم يخف اعجابه بالقناع وبكل شيء عميق، فهو يرى ان النوع الانساني كلما ارتفع وارتقى ازداد استخدامه للقناع. لذا كان القناع عنده بمثابة كاستراتيجية فلسفية ذات ارتباطات كثيرة، اي ولم يكن حضور عابر اقتصر عند حدود النقد والتدمير، بل يصح القول ان كل شيء في فلسفة نيتشه هو (قناع)، فاذا أرتدى قديماً زعيم القبيلة، وكاهنها، وساحرها، قناعاً دينياً للسيطرة والترهيب، ولإخافة اعداءه، نجد نيتشه ايضاً يرتدي اقنعة متعددة للتمويه بالقوة، ولإخفاء ضعفه وحساسيته المفرطة من جهة، ولإظهار هوية جديدة مغايرة تماماً لشخصيته الحقيقية، فهوية (الانسان الاعلى – السوبرمان) هي قناع يختفي وراءه بعد كل الحوادث المأساوية التي مرت في حياته، ليعيد رسم خارطة القيم من جديد، على وفق ما يتناسب مع شخصية هذا البطل، وهوية هذا القناع، وهو امر معتاد لدى كل الابطال الخارقين الذين بدأوا حياة القناع، بعد تجربة قاسية، وحوادث مأساوية، مرت بهم، لذا يصح ان نقول ان نيتشه اكبر مدمر للاقنعة القديمة ومبتكر اقنعة جديدة.

المصادر

المصادر العربية:

١. ابراهيم، الزهرة، الطبعة الاولى، (٢٠٠٩) ، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، سوريا

- دمشق، تقديم: خضر الآغا، النايا للدراسات والنشر والتوزيع.
٢. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، بلا تاريخ، لسان العرب، المجلد٨، بيروت- لبنان، دار صادر.
٣. أرسطو، بلا تاريخ، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: ابراهيم حمادة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
٤. بدوي، عبد الرحمن، الطبعة الاولى، (١٩٨٤)، الموسوعة الفلسفية، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٥. دولوز، جيل، نيتشه، الطبعة الاولى، (١٩٩٨)، ترجمة: اسامة الحاج، بيروت – لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع.
٦. دولوز، جيل، الطبعة الثالثة، (٢٠١١)، نيتشه والفلسفة، ترجمة: اسامة الحاج، بيروت – لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
٧. ديورانت، ول، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥، قصة الفلسفة- من افلاطون الى جون ديوي، ترجمة: فتح الله المشعشع، بيروت-لبنان، منشورات مكتبة المعارف.
٨. الزيارات، احمد حسن، (بلا تاريخ)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الاول، اخراج ابراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، القاهرة، مصر، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
٩. عبد النور جبور، وسهيل ادريس، الطبعة السابعة، (١٩٨٣)، المنهل، قاموس فرنسي – عربي، بيروت، دار العلم للملايين.
١٠. نيتشه، فريدريك، (٢٠١١)، ارادة القوة، ترجمة: محمد الناجي، الدار البيضاء-المغرب، افريقيا الشرق.
١١. نيتشه، فريدريك، الطبعة الاولى، (١٩٨١)، اصل الاخلاق وفصلها، ترجمة: حسن قبيسي، بيروت- لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
١٢. نيتشه، فريدريك، (٢٠١٣)، الفجر، ترجمة وتقديم: محمد الناجي، الدار البيضاء- المغرب، افريقيا الشرق.
١٣. نيتشه، فريدريك، (٢٠٠٩)، هذا هو الانسان، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، درار التنوير للطباعة والنشر.
١٤. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠١٤)، انساني مفرط في انسانيته- كتاب للمفكرين الاحرار– الكتاب الاول– ترجمة: علي مصباح، بيروت – بغداد، منشورات دار الجمل.
١٥. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠١٠)، غسق الاوثان او كيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة، ترجمة: علي مصباح، بيروت – بغداد، منشورات الجمل.

١٦. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠٠٣)، ما وراء الخير والشر- تباشير فلسفة المستقبل، بيروت - لبنان، دار الفارابي.
١٧. نيتشه، فريدريش، الطبعة الاولى، (٢٠٠٧)، هكذا تكلم زرادشت، كتاب للجميع ولغير احد، ترجمة: علي مصباح، كولونيا (المانيا)-بغداد منشورات الجمل.
١٨. الياس، ماري (وآخرون)، (بلا تاريخ)، حنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، بيروت، لبنان مكتبة لبنان ناشرون.
١٩. يوسفي، حسن، (٢٠٠٠)، المسرح والانثروبولوجيا، البيضاء، المغرب، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

المصادر الاجنبية:

20. Kaufman, W. 1950, Nietzsche: philosopher, psychologist, antichrist, Princeton, NJ: Princeton university, published.
21. Langley, Travis, (2012), Bat man and psychology, A dark and stormy knight, , Hoboken, john Wiley and& sons.
22. Sartre Jean – Paul, (2001), Being and nothingness in phenomenological ontology, trade, ingles' di Hazel Estella Barnes Barnes, , New york, citadel.
23. Vattimo Giovanni, (2007), Il soggetto e la maschera, Nietzsche e il problema della Bompiani, Milano, liberazione.